﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ [الزّخرف: 86]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

من كمال التّوحيد نفيُ الوَلدِ ونفيُ الشُّركاء

لَمّا أطنبَ اللّهُ تعالى في نفيِ الولدِ؛ أردفَهُ ببيانِ نفي الشُّركاء، فقال: ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ﴾[1]، ولَمّا أنبَأهم أنَّ للّه مُلْكَ السَّماواتِ والأرضِ وما بينَهما، وأنَّ عندَه علمَ السّاعَةِ؛ أعلَمَهم أنَّ ما يَعبدونَه مِن دونِ اللّهِ لا يَقدِرُ على أن يَشفَعَ لهم في الدُّنيا؛ إبطالًا لزَعمِهم أنَّهُم شُفَعاؤُهم عندَ اللّهِ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَمۡلِكُ﴾: أصلُ (ملك) يَدُلُّ على قوَّةٍ في الشَّيءِ وصِحَّةٍ، يُقالُ: أملَكَ عَجينَهُ: قَوَّى عَجْنَهُ، وشَدَّهُ، ومَلَّكْتُ الشَّيءَ: قَوَّيتُهُ، والأصلُ هذا، ثُمَّ قيلَ: مَلَكَ الإنسانُ الشَّيءَ يَملِكُهُ مَلْكًا، والاسمُ المِلْكُ؛ لأنَّ يَدَهُ فيه قَويَّةٌ صَحيحَةٌ، فالمِلكُ: ما مُلِكَ من مال[3]، ومَلَكَ الشَّيء يَملكه مَلكًا: حازَه، وانفردَ بالتَّصَرُّف فيه، فهو مالِكٌ، والمُلْكُ: يُذَكَّرُ، ويُؤَنَّثُ كالسُّلْطان، ومُلْكُ اللّه تعالى ومَلَكوته: سُلْطانُهُ وعظَمَتُهُ، والمُلْك ضربان: مُلْكٌ: هو التَّملُّكُ والتَّولّي، ومُلْكٌ: هو القوَّةُ على ذلك، تولَّى أو لم يتولَّ[4]، ومعنى ﴿وَلَا يَمۡلِكُ﴾ في الآية: لا يَقدِرُ على الشَّفاعة[5].

2) ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾: مصدرٌ للفعلِ شَفَعَ يشفعُ، وأصله (شفع) يدلُّ على مقارنةِ الشَّيئين، من ذلك: الشَّفْعُ خلافُ الوَتر، تقول: كان فَرْدًا،

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 648.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 270.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح: (ملك).
(4) الفيروزابادي، بَصائر ذَوي التَّمييز، وابن منظور، لسان العرب: (ملك).
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 648، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 243.

فَشَفَعْتُهُ، وشَفَعَ فلانٌ لفلانٍ؛ إذا جاء ثانيه مُلتمسًا مَطلبَه ومُعينًا له[1]، "والشَّفاعَةُ: الانضمامُ إلى آخَر ناصرًا له وسائلًا عنه، وأكثرُ ما يُستعملُ في انضمام مَن هو أعلى حُرمةً ومرتبةً، إلى مَن هو أدنى"[2]، ومعنى ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ في الآية: السَّعيُ والوساطةُ في حصولِ نفعٍ، أو دَفعِ ضُرٍّ، سواءٌ كانت الوساطةُ بطلبٍ من المنتفِعِ بها، أم كانت بمُجرَّدِ سعي المتوسِّطِ[3].

3) ﴿شَهِدَ﴾: (شهد) أصلٌ يدُلُّ على حُضورٍ وعِلْمٍ وإعلامٍ[4]، ثمَّ صُرِّفَتِ الكلمةُ في أداءِ ما تقرَّر عِلْمُه في النَّفس، وشَهِدَ الشّاهدُ عند الحاكم: بيَّنَ ما يعلمُ، وأظهرَه، والشَّهادةُ: إخبارُ الإنسانِ بما عَلِمه[5]، والشَّهادَةُ: خبَرٌ قاطِعٌ، تَقولُ مِنه: شَهِد الرَّجُلُ على كذا، وقولُهم: اشهَدْ بِكَذا، أي: احلِفْ[6]، وشَهِدَ له بكذا شَهادةً، أي: أدَّى ما عِندَه مِن الشَّهادَةِ، فَهوَ شاهِدٌ[7]، وشَهِدَ الشّاهِدُ عِندَ الحاكِمِ، أي: بَيَّنَ ما يَعلَمُهُ، وأظهَرَه[8]، ومعنى ﴿شَهِدَ﴾ في الآية، أي: يعلمُ الحقَّ، ويعلمُ حقيقةَ ما شَهِدَ به[9].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

لا شفاعةَ لأحدٍ إلّا بإذنِ الله

يقولُ اللّهُ تعالى مُبيّنًا أنَّه لا شفاعةَ لأحدٍ إلّا بإذنه: لا يقدِرُ الَّذين يَعبُدُهم المُشرِكونَ مِن دونِ اللّهِ على الشَّفاعةِ لأحدٍ إلّا مَن أقرَّ منهم بالتَّوحيدِ للّهِ - كعيسى والملائكةِ - وهم يَشهَدونَ بذلك على عِلمٍ وبَصيرةٍ، فيَأذَنُ لهم اللّهُ تعالى بالشَّفاعةِ للمُؤمِنينَ[10].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شفع).
(2) الرّاغب، المفردات: (شفع).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 486.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شهد).
(5) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (شهد).
(6) الجَوهريُّ، الصّحاح: (الشَّهادة).
(7) ابن منظور، لسان العرب: (شهد).
(8) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (شهد).
(9) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 654.
(10) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 654، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 243.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

معنى (الواو) ودلالتُها في: ﴿وَلَا يَمۡلِكُ﴾:

من تمامِ مُلكِ اللهِ عدمُ التَّخلُّفِ عن الرُّجوعِ إليه، وعدمُ مدافعةِ قضائِه

(الواو) في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ﴾ عاطفةٌ، والمعطوفُ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾، أي: من تمام مُلكِ اللهِ في الآخرة أنَّه لا يَقْدِرُ أحدٌ منهم على التَّخلُّفِ عن الرُّجوعِ إليه، كما أنَّه لا يَقْدِرُ أحدٌ على مدافعةِ قضائِه وقَدَرِه[1]، ولا يملكُ أحدٌ من خَلْقِه من الأمر شيئًا، ولا يَقْدِرُ على الشَّفاعة أحدٌ إلّا بإذنه[2].

دلالةُ أسلوبِ النَّفي في: ﴿وَلَا يَمۡلِكُ﴾:

مبالغةٌ في بيانِ عَجْزِ المعبودين من دونِ الله

(لا) في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ نافيةٌ لكلِّ الأزمنة، فلا أحدَ يملكُ الشَّفاعةَ في كلِّ الأوقاتِ إلّا بإذن اللهِ، والمعنى: ولا يملكُ الشَّفاعةَ بوجهٍ مِنَ الوجوه في وقتٍ من الأوقات مَن يجعلونهم في موضعِ الدُّعاء بعبادتهم لهم[3]، وفي هذا من المبالغةِ في بيانِ عجزِ المعبودين من دونِ اللهِ ما فيه.

الغرضُ من التَّعبير بالاسم الموصول وصلتِه ﴿ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾:

عمومُ نفيِ القُدْرةِ على الشَّفاعةِ من جميعِ المعبودين من دون الله

آثرَ البيانُ القرآنيُّ في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ التَّعبيرَ بالاسمِ الموصولِ دونَ الاسمِ الظّاهر، فلم يقل: (ولا يملك المدعوّون من دون الله)؛ للدَّلالة على عموم كلِّ من دُعي من دونِ اللهِ سبحانه، أمثالِ الأصنامِ والأولياءِ والطّاغوت، وأمثالِ عيسى والعزيزِ والملائكةِ، بما يَدُلُّ على كمالِ قُدْرةِ اللهِ، وشمولِ العجزِ لكلِّ المَعبودين من دونه.

دلالةُ التَّعبيرِ بالفعل المضارع ﴿يَدۡعُونَ﴾:

استمرارُ المشركين في عبادةِ غيرِ اللهِ دليلٌ على إصرارهم على الإشراكِ باللهِ

عبَّر البيانُ القرآنيُّ بصيغةِ المضارع في قوله: ﴿يَدۡعُونَ﴾؛ للإشارةِ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 495.
(2) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 770.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 495.

إلى استمرارِ المشركين في جَعْلِ المعبودين من دون اللّهِ في موضعِ الدُّعاء بعبادتهم لهم، بما يَدلُّ على إصرارِ المشركين على الإشراك باللّه، ويُؤكِّدُ على نفي القُدرةِ على الشَّفاعةِ من جميعِ المعبودين على مرِّ الأزمنة.

سرُّ التَّعبيرِ بـ ﴿مِن دُونِهِ﴾:

بـيـانٌ لـسُـفـولِ رُتبةِ من يجعله المـشـركـون في موضعِ الدُّعاء

في التَّعبير بلفظ (دون) الذي يُفيدُ معنى الدّونيَّة والاحتقارِ في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ بيانٌ لسُفولِ رُتبةِ من يجعلونهم في موضعِ الدُّعاء بعبادتهم لهم، فلا يكونُ منهم شفيعٌ كما زعموا أنَّهم شفعاؤهم[1].

سرُّ التَّعبيرِ بـ ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ في سياق الآية:

في الإيجازِ إشارةٌ إلى ضَعفِ المعبودين وذُلِّهم من دونِ الله

عبَّر البيانُ الحكيم بلفظِ الشَّفاعة دونَ غيرِها في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾؛ اختصارًا؛ لاتِّساع دلالتها؛ فالشَّفاعةُ أن يأتيَ أحدُهم لثانيه مُلتمسًا مطلبَه ومُعينًا له[2]، والشَّفاعَةُ: الانضمامُ إلى آخَر ناصرًا له وسائلًا عنه[3]، والمعنى: ولا يملكُ الَّذين يدعونَ من دونه جلبَ النَّفعِ لكم، ودفْعَ الضُّرِّ عنكم، وقد اختصره بلفظِ الشَّفاعة الَّتي تعني: السَّعي والوساطة في حُصولِ نَفْعٍ أو دَفْعِ ضُرٍّ[4]، كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ۝٥٦﴾ [الإسراء: 56]، كما أنَّ في استعمالِ لفظِ الشَّفاعةِ إشارةً إلى ضَعفِ مَن يعبدونهم من دونِ اللّه وذلِّهم، فلا يملكون النُّصرةَ والرُّتبةَ العالية؛ لأنَّ من معاني الشَّفاعةِ الانضمامَ إلى آخَر ناصِرًا له، وأكثرُ ما تُستعمل في انضمامِ مَن هو أعلى حُرمةً ومرتبةً إلى مَن هو أدنى[5].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 495.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شفع).
(3) الرّاغب، المفردات: (شفع).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 155.
(5) الرّاغب، المفردات: (شفع).

سرُّ إضمارِ الاسم الجليل عِوضَ الإظهار:

مع الاختصارِ تنزيهٌ لاسمِ الله أن يُذكرَ مع المعبودين من دونه

أضمرَ البيانُ القرآنيُّ الاسمَ الجليل في قوله تعالى: ﴿يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ﴾؛ اختصارًا لكونه مفهومًا من السّياق، وتنزيهًا عن ذِكرِ اسم الله مع المعبودين، وتناسبًا مع ما سبقَ من ذكرِ الاسم الجليل مُضمرًا في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾، وقولِه: ﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، وقولِه: ﴿وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

الغرضُ من التَّعبير بأسلوب القَصْر بطريق النَّفي والاستثناء:

لا سبيلَ لقَبول الشَّفاعة إلّا بالتَّوحيد الخالص للحقِّ سبحانه

عبَّر النَّظم الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ﴾ بأسلوب القصر؛ لبيان قدر التَّوحيد الخالص لربِّ العالَمين، وللكشف عن منزلة الموحِّدين عند ربِّ العالَمين، والمعنى: ولا يملكُ المعبودون من دون اللّهِ الشَّفاعةَ لأحدٍ من النّاس، إلّا من شهدَ بالحقِّ منهم، وأخلصَ العبادةَ لله تعالى وحدَه، كعيسى بنِ مريم، وعُزَير، والملائكة، وهو يُؤَكِّد بمفهوم المخالفة أنَّه لا شفاعةَ للأصنام ولا لسواهم من المعبودين من دون الله، وفيه قطعٌ لأطماعهم؛ لذا جاء أسلوبُ القَصْر بأقوى الطُّرق، وهو المناسب لخطاب المنكِرين للتَّوحيد.

دلالة لفظ (الحقِّ) في: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ﴾:

شهادةُ الملائكةِ والمسيحِ حقٌّ لا باطلٌ، وصدقٌ لا كذبٌ، وعدلٌ لا ظلمٌ

آثرَ البيانُ القرآنيُّ لفظَ الحقِّ في قوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ﴾ دون غيره؛ لكونه أوسعَ دلالةً؛ إذ يشملُ الحقُّ كلَّ ما طابقَ، ووافقَ الواقعَ؛ إذا انكشفَ أتمَّ انكشاف[1]، ووافقَ تعاليمَ الإسلام، كالحقِّ الَّذي تشهدُ به الفطرةُ، وجاء به الرُّسلُ، وأنزلَه اللّهُ في الكتبِ السَّماويَّة، والمعنى: إلّا مَن شهدَ بوحدانيَّة اللّهِ وأُلوهيَّته ورُبوبيَّته وصفاتِه وأسمائِه، وشهدَ لرسلِه بالنُّبوَّة، وشهدَ بأنَّ القرآنَ حقٌّ،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 495.

والبَعثَ والآخرةَ حقٌّ، والجنَّةَ والنّارَ حقٌّ[1]، وللإشارةِ إلى ثباتِ ما يشهدون به وصدقِه وعدلِه وتمكُّنِه؛ إذ هي من معاني الحقِّ[2].

معنى الواو ودلالتُها في: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾:

الشَّهادةُ بالحقِّ مع العِلمِ بها هي المعتدَّة

الواو في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ حاليَّةٌ، والمعنى: والحالُ أنَّهم يعلمونَ عِلْمًا يقينًا، أنَّ المستحقَّ للعبادةِ هو اللّهُ تعالى[3]، أو: وهم يعلمونَ حالَ مَن يستحقُّ الشَّفاعةَ[4]، وأفادَ قيدُ الحالِ الإشعارَ بأنَّ الشَّهادةَ بالحقِّ مع العِلمِ بها هي المعتدَّة، أمّا الشَّهادةُ بدون علمٍ بالمشهود به؛ فإنَّها لا تكونُ كذلك[5]، وقد عُلمَ بالآية أنَّ الملائكةَ لا يشفعون للَّذين خالفَ حالُهُم حالَ مَن يشهدُ للّهِ بالحقِّ[6]، ويُشعِرُ قيدُ الحالِ كذلك أنَّ إيمانَ المُقلِّد لا ينفعُ البتَّةَ، وأنَّ الشَّهادةَ باللِّسانِ فقط لا تُفيدُ البتَّة[7].

الغرضُ من التَّعبير بالجملة الاسميَّة، وتقديمِ المسندِ إليه:

علمُ مَن يملكُ الشَّفاعةَ باستحقاقِ الله للعبادةِ ثابتٌ راسخٌ مستمرٌّ

عبَّر البيانُ الحكيمُ بالجملةِ الاسميَّة في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾؛ للإيذانِ باستمرارِ العِلمِ اليقينيِّ ممَّن يملكُ الشَّفاعةَ، كعيسى بن مريم، وعُزَير، والملائكةِ، بأنَّ المُستحِقَّ للعبادةِ هو اللّهُ تعالى، وهو وحده يقبل الشَّفاعة، ويأذَن بها، وفيه تعظيمٌ للتَّوحيد، وممّا يُقوِّي المعنى، ويُؤكِّدُه: أنَّه قدَّم المُسندَ إليه (هم) على خبره الفعليِّ ﴿يَعْلَمُونَ﴾، كأنَّه أسند العِلمَ إليهم مَرَّتين؛ دلالةً على يقينهم باللّه سبحانه، وفي التَّعبير بالمضارع دلالةٌ على تجدُّدِ اليقين باللّه عندهم.

---

(1) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 770.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (حقق).
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 13/ 107.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 270.
(5) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 13/ 107.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 270.
(7) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 648.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والخمسون،
سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 54 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-02-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 54 : المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-02-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8769435 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"